



توجهت القوات الأمنية ومعها الجرافات إلى حي بونك في العاصمة طهران، لتفهم بهدم المسجد الوحيد للمسلمين السنة بعد أن أغلقته وختمته بالشمع الأحمر ومنعت المسلمين هناك من الاقتراب منه طيلة شهر رمضان وما بعده.

وفق السياسة الإيرانية المعتمدة لدى (ولي الفقيه)، لا تبدو هذه الفعلة مستنكرة ولا مستغيرة، فالمسلمون السنة في طهران ممنوعون من إقامة مسجد لهم منذ ثورة الخميني وإلى اليوم، وقد حاول بعض الموظفين في السفارات والقنصليات العربية أن يقيموا لهم ولعوائلهم مصلى يجمعهم في الصلوات الخمس والجمعة والعيدان فجوبهوا بقوة، وكأنهم تجاوزوا كل الخطوط الحمراء!

من المفارقات أن المعابد اليهودية هناك تحظى بالرعاية والحماية، وقد زاد عددها في طهران وحدها على اثنى عشر معبدا، وكلها شامخة بمعالتها وزخارفها، وهكذا معابد الديانات الأخرى كاليسوعية والزرادشتية.

بالرجوع إلى الدستور المكتوب باللغة العربية والذي توزعه الملحقيات الثقافية الإيرانية في البلاد العربية وجدت الفقرتين الآتيتين:

(المادة الثانية عشرة: الدين الرسمي لإيران هو الإسلام، والمذهب هو المذهب الجعفري الإثنى عشري، وهذه المادة تبقى إلى الأبد غير قابلة للتغيير، وأما المذاهب الإسلامية الأخرى والتي تضم المذهب الحنفي والشافعي والمالي والحنفي والزيدي فإنها تتمتع باحترام كامل، وأتباع هذه المذاهب أحراز في أداء مراسيمهم المذهبية حسب فقههم..).

(المادة الثالثة عشرة: الإيرانيون الزرادشت واليهود والمسيحيون هم وحدهم الأقليات الدينية المعترف بها، وتتمتع بالحرية في أداء مراسيمها الدينية ضمن نطاق القانون).

الفقرة الثانية مطبقة بشكل واضح ومرجح على ما يبدو، بيد أن الفقرة الأولى التي تخص المذاهب الإسلامية هي التي تتعرض للانتهاك بشكل واضح أيضا، فهدم المسجد الوحيد للمذاهب الأربع التي ينص عليها الدستور لا يمكن له مسوغ، وبالتالي فهو هدم صريح لهذه المادة الدستورية، ولولي الفقيه المنوط به حماية الدستور وتطبيقه وحمل الدولة والأمة عليه باعتباره المرجع الأعلى والقائد الأول بنص الدستور، قد تعمّد انتهاك هذا الدستور والتنصل عن القيام بوظيفته الدينية

وإذا كان الولي الفقيه قد أعطى لنفسه الحق في نقض (العقد الاجتماعي) الأول في إيران، فلأي ثقة ستبقى في التزامه أو التزام مَن دونه بالقرارات والاتفاقات والوعود والمعاهد؟

تجدر الإشارة هنا إلى أن الميليشيات الشيعية العراقية والخاضعة لسلطة الولي الفقيه، قد تولّت هدم عشرات المساجد في بغداد وديالى والبصرة وغيرها من المناطق، دون نكير من الولي الفقيه ولا غيره من المراجع (العظماء)، مما يؤكد وجود نهج مسبق ومتفق عليه لهم الوجود الإسلامي السنّي في هذه البلاد حتى على مستوى الشعائر وأماكن العبادة.

في الطرف المقابل، لا يمكننا أبداً أن نتصور دولة سنّية واحدة مهما كان شكل النظام فيها أن تقوم بهدم حسينية شيعية حتى لو كان أتباع هذه الحسينية مواليٍ لإيران ويعملون في خدمتها وخدمة مشاريعها التوسعية، لكن هذه الدول تتعرض في العادة للانتقادات الشديدة كلما حصل فيها عداون عرضي وطائش تقوم به فئات متمردة وخارجية عن القانون!

(المجتمع الدولي) يؤكد مطالبته (الدول السنّية) بتغيير سياساتها تجاه الأقليات الشيعية، ونشر ثقافة (المحبة) و (التسامح)، لأن هذا هو الذي يحقق (الاستقرار) و (التعايش السلمي).

(الليبراليون) و(العلمانيون) العرب لا يكفون أيضاً عن مناشدة دولهم لتغيير مناهج (التعليم الديني) لأنها السبب في تخريب (العناصر المتطرفة) التي قامت بالاعتداء على حسينية في الكويت وأخرى في القطيف، مع أن هذه العناصر ليس لهم صلة بالتعليم الديني ولا بالمؤسسات العلمية، بل هم يكفرون علماءهم قبل أن يكفروا الشيعة، وفجرّوا مسجد النبي يونس - عليه السلام - في الموصل قبل تفجيرهم لهاتين الحسينيتين.

الإعلام العربي لا يتذكر (حرية التعبير) و (حقوق الإنسان) و (القيم الديمقراطية) إلا حينما يقوم أحمق ومعتوه بالاعتداء على معبد شيعي أو مسيحي، أما حينما تقوم دولة بكمال مؤسساتها التشريعية والتنفيذية بهدم مسجد للسنة، فهذا شأن داخلي، والتركيز عليه لا يخلو عن بعد طائفي!

الذى يثير الاستغراب أكثر هو موقف المنظمات والجماعات الإسلامية، والتي يفترض أنها قد أخذت على عاتقها حماية الإسلام والذود عن المقدسات أكثر من غيرها.

قال لي أحد المشايخ الفضلاء: لماذا تعترض دائمًا عن المشاركة في اجتماعات العلماء؟ قلت: لأنني أرى بينكم على المنصة من يمثل طهران ووليها الفقيه، دون أن أجد لكم وزناً مؤثراً ولو بحجم بناء مصلى واحد في طهران، إنكم تعرفون بشرعية إسلاميتهم وهم لا يعترضون بإسلامكم ولا بوجودكم.

أذكر كيف هب علماء المسلمين لـقناع حكومة طالبان بالعدول عن هدم تمثيل بوذا، وتجشموا عناء السفر إلى كابل، وأنا مع إخواني العلماء في هذا، لكنني لست معهم حينما أجد همّتهم هذه تتقاعس وتتضاءل حينما يتعلق الأمر بهدم مقدسات المسلمين وإهانة شعائرهم ومشاعرهم.

جماعات إسلامية أخرى تغض الطرف عن كل هذا أملاً منها أن تساعدها إيران في تحرير (المسجد الأقصى)! وما علموا أن هؤلاء أجرأوا على هدم المساجد من غيرهم، والمسجد الأقصى ليس استثناءً، فهو الذي فتحه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو عدوهم الأول، وبنى قبة الصخرة فيه عبد الملك بن مروان! ثم فتحه ثانيةً صلاح الدين الأيوبي مزيل الدولة الفاطمية، فأقصى لا يثير فيهم سوى الأحقاد الدفينة مهما تجلّوا سياسةً أو تقيةً، وقد سبق لإخوانهم من القرامطة أن سرقوا الحجر الأسود وقتلوا الحجيج، فيما لله للغفلة واللهاثة وراء كل سراب.

لقد صرت أخشى أن تصدق في هؤلاء مقوله مقتدى الصدر: (كنا نحن الشيعة نمارس التقية، ولما تركناها صار السنة يمارسونها)!

العرب القطرية

المصادر: